الفصل السادس

وسطية القرآن فى اليوم الآخر

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل السادس
وسطية القرآن فى اليوم الآخر

المبحث الأول
أنواع المكذبين بالبعث

كذب كثير من الناس قديماً وحديثاً بالبعث والنشور، وبعض الذين قالوا بإثباته صوروه على غير الصورة التى أخبرت بها الرسل، وقد بين الله سبحانه وتعالى قول المكذبين وذمهم وكفرهم وتهددهم وتوعدهم، قال تعالى: ﴿ وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا تُرابا أئنا لفى خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ .[الرعد: ٥] ﴿ وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين (٢٩) ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ .[الأنعام: ٢٩] وقال تعالى: ﴿ وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا (٤٩) قل كونوا حجارة أو حديدا (٥٠) أو خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة ﴾ . [الإسراء: ٤٩-٥١].

وقد تعرض شيخ الإسلام ابن تيمية لبيان أنواع المكذبين بالبعث والنشور من اليهود والنصارى والصابئة والفلاسفة ومنافقى هذه الأمة فقال: (وإنما المخالف فى ذلك أحد رجلين إما كافر ، وإما منافق:

أما الكافر فإن اليهود والنصارى ينكرون الأكل والشرب والنكاح فى الجنة، يزعمون أن أهل الجنة إنما يتمتعون بالأصوات المطربة ، والأرواح الطيبة مع نعيم الأرواح ، وهم يقرون مع ذلك بحشر الأجساد مع الأرواح ونعيمهما وعذابهما، وأما طوائف من الكفار وغيرهم من الصابئة والفلاسفة ومن وافقهم فيقرون بحشر الأرواح فقط، وأن النعيم والعذاب للأرواح فقط.

وطوائف من الكفار والمشركين وغيرهم ينكرون المعاد بالكلية، فلا يقرون لا بمعاد الأرواح، ولا الأجساد، وقد بين الله تعالى فى كتابه على لسان رسوله أمر معاد الأرواح والأجساد، ورد على الكافرين والمنكرين لشيء من ذلك، بياناً تاماً غاية التمام والكمال.

وأما المنافقون من هذه الأمة الذين لا يقرون بألفاظ القرآن والسنة المشهورة فإنهم يحرفون الكلام عن مواضعه، ويقولون: هذه أمثال ضربت لنفهم المعاد الروحانى، وهؤلاء مثل القرامطة الباطنية الذين قولهم مؤلف من قول المجوس والصابئة، ومثل المتفلسفة الصابئة المنتسبين إلى الإسلام وطائفة ممن ضاهوهم: من كاتب أو متطبب أو متكلم، أو متصوف، كأصحاب رسائل (إخوان الصفا) وغيرهم، أو منافق وهؤلاء كلهم كفار يجب قتلهم باتفاق أهل الإيمان).[١]

وذكر رحمه الله تعالى فى موضع فى الآخرة بأمثال مضروبة لتفهيم ما يقوم بالنفس بعد الموت من اللذة والألم، لا بإثبات حقائق منفصلة يتنعم بها، ويتالم بها)[٢].

وحقيقة قول هؤلاء: أن الله لم يكن صادقاً فى إخباره عن حقائق ما فى المعاد، وكذلك رسوله ﷺ؛ ولذلك سمى شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الصنف من المتفلسفة المخالف لما عليه المسلمون فى أمر المعاد (بأهل التخييل) وقال فيهم: (فأهل التخييل هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم، ومن متكلم ومتصوف، ومتفقه، فإنهم يقبلون إن ما ذكره الرسول من أمر الإيمان بالله والآخرة إنما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور، لا أنه بين به الحق، ولا هدى الخلق، ولا أوضح الحقائق).[٣]

وقد صنف الدكتور عمر الأشقر المكذبين بالبعث والنشور إلى ثلاثة أصناف[٤]:

الأول: الملاحدة الذين أنكروا وجود الخالق، ومن هؤلاء كثير من الفلاسفة

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٤/٣١٣.
(٢) المرجع السابق: ١٣/٢٣٨.
(٣) مجموع الفتاوى: ٥/٣١.
(٤) اليوم الآخر القيامة الكبرى لعمر الأشقر: ٧٢.

الدهرية الطبائعية، ومنهم الشيوعيون فى عصرنا، وهؤلاء ينكرون صدور الخلق عن خالق، فهم منكرون للنشأة الأولى والثانية، ومنكرون لوجود الخالق أصلاً. ولا يحسن مناقشة هؤلاء فى أمر المعاد، بل يناقشون فى وجود الخالق ووحدانيته أولاً، ثم يأتى إثبات المعاد بعد ذلك؛ لأن الإيمان بالمعاد فرع عن الإيمان بالله.

الثانى: الذين يعترفون بوجود الخالق، ولكنهم يكذبون بالبعث والنشور، ومن هؤلاء العرب الذين قال الله فيهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] وهم القائلون فيما حكاه الله عنهم: ﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ (٦٧) لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [النمل: ٦٧، ٦٨]. وهؤلاء يدعون أنهم يؤمنون بالله، ولكنهم يدعون أن قدرة الله عاجزة عن إحيائهم بعد إماتتهم، وهؤلاء هم الذين ضرب الله لهم الأمثال، وساق لهم الحجج والبراهين لبيان قدرته على البعث والنشور، وأنه لا يعجزه شيء ومن هؤلاء طائفة من اليهود يسمون بالصادقين، يزعمون أنهم لا يؤمنون إلا بتوراة موسى، وهم يكذبون بالبعث والنشور والجنة والنار.

الثالث: الذين يؤمنون بالمعاد على غير الصفة التى جاءت بها الشرائع.(١)

(١) نفس المصدر السابق ص ٧٢.

المبحث الثانى
نظرة فى نصوص اليوم الآخر عند أهل الكتاب

لا شك أن الكتب السماوية التى أنزلها الحق تبارك وتعالى كانت تزخر نصوصها بذكر اليوم الآخر، والتخويف منه، والتبشير بما أعده الله للمؤمنين به فى جنات النعيم، والتحذير من النار وأهوال القيامة، إلا أن هذه الكتب طرأ عليها تحريف كثير، وذهب كثير من نصوصها التى تتعرض لليوم الآخر(١).

ففى التوراة التى تنسب إلى موسى لا نجد إلا نصاً واحداً يصرح بيوم القيامة، وهو فى التوراة السامرية صريح للغاية، ولكنه فى التوراة العبرية يحتمل معنيين.

ففى التوراة السامرية(أليس هو مجموعاً عندى مختوماً فى خزائنى إلى يوم الانتقام والمكافأة وقت تزل أقدامهم).(٢)

وفى التوراة العبرانية هكذا: (أليس ذلك مكنوزاً عندى مختوماً عليه فى خزائنى، لى النقمة والجزاء فى وقت تزل أقدامهم).(٣)

فنص السامرية يدل على أن الفصل إنما يكون فى يوم القيامة الذى سماه يوم الانتقام والمكافأة، أما نص العبرانية فإنه يجيز أن يكون الانتقام فى الدنيا، ويجيز أن يكون فى الآخرة، ولذلك فإن الصادقين من اليهود الذين لا يؤمنون بتوراة موسى العبرية لا يؤمنون بالبعث والنشور؛ لعدم وجود دلالة تدل على البعث والنشور. أما أسفار الأنبياء الأخرى فى التوراة ففيها بعض النصوص التى تصرح بالبعث والنشور، وكذلك الأناجيل.

١ – ففى سفر دانيال :(كثيرون من الراقدين تحت التراب يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار والازدراء الأبدى).(٤)

---

(١) المرجع السابق: ٩٢ . (٢) سفر التثنية الاشتراع، الإصحاح (٣٢) ٣٤، ٣٥ من التوراة السامرية.

(٣) التوراة العبرانية نقلاً عن اليوم الآخر القيامة الكبرى: ٩٢ .

(٤) سفر دانيال الإصحاح: ١٢ .

٢ – وفى سفر المزامير يذكر الحشر إلى النار فيقول :(مثل الغنم إلى النار يساقون، الموت يرعاهم، ويسودهم المستقيمون غداة، وصورتهم تبلى، والهاوية مسكن لهم)[١].

٣ – وفى إنجيل لوقا إشارة إلى عذاب القبر، فقد جاء فيه :(ومات الغنى ودفن، فرفع عينيه فى الهاوية وهو فى العذاب)[٢] . فالمقبور من أهل الفجور يكون فى العذاب ويرى مقعده من النار، والهاوية : هى النار .

٤ – وفى إنجيل متى (فإن أعثرتك يدك أو رجلك فاقطعها وألقها عنك خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع من أن تلقى فى النار الأبدية ولك يدان أو رجلان)[٣].

٥ . ومن أكثر الكتب التى تحدثت عن الجنة والنار إنجيل برناباً، فقد تحدث عن أهل الجنة، وأنهم يأكلون ويشربون، ولكنهم لا يتبولون، ولا يتغوطون؛ لأن طعامهم وشرابهم ليس فيه خبث ولا فساد، ولكن النصارى يكذبون بهذا الإنجيل الذى ظهر أخيراً فى عصرنا هذا . النصارى يعتقدون أن الذى ينعم أو يعذب فى القيامة هو الروح فحسب، وقال بقولهم بعض الذين ينتسبون إلى الإسلام من الفلاسفة والفرق الباطنية الضالة [٤].

---

(١) سفر المزامير الخامس والخمسين الفقرة : ٥ .

(٢) إنجيل لوقا الإصحاح السادس عشر الفقرة : ٢٢ .

(٣) إنجيل متى الإصحاح الثامن عشر الفقرة : ٨ .

(٤) اليوم الآخر القيامة الكبرى : ٩٤ .

المبحث الثالث
أدلـــة البـــعث والنشـــور

الإيمان بالمعاد دل عليه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والقرآن كله من فاتحته إلى خاتمته مملوء بذكر أحوال اليوم الآخر وتفاصيل ما فيه، وتقرير ذلك بالأخبار الصادقة والأمثال المضروبة للاعتبار والإرشاد، وكما ذكر القرآن الأدلة عليه، ورد على منكريه، وبين كذبهم وافتراءهم.

والفطرة السليمة تدل عليه وتهدى إليه، ولا صحة لما يزعمه الضالون من أن العقول تنفى وقوع البعث والنشور، فإن العقول لا تمنع وقوعه، والأنبياء لا يأتون بما تحيل العقول وقوعه ، وإن جاؤوا بما يحير العقول [١] ومن وسطية القرآن ، وحكمته واستقامته على الصراط المستقيم، جاءت الأدلة التى تكلمت على البعض بأساليب متنوعة ومتعددة تخاطب الفطرة والعقل السليم، وتؤثر فى أعماق القلوب، فإذا تأملت وتفكرت فى كتاب الله اتضح لك أدلة كثيرة منها:

أولاً: إخبار العليم الخبير بوقوع القيامة:

ومن أعظم الأدلة الدالة على وقوع المعاد: إخبار الحق تبارك وتعالى بذلك، فمن آمن بالله وصدق برسوله الذى أرسل، وكتابه الذى أنزل فلا مناص له من الإيمان بما أخبرنا به من البعث والنشور، والجزاء والحساب، والجنة والنار، وقد نوع الحق تبارك وتعالى أساليب الإخبار ليكون أوقع فى النفوس وآكد فى القلوب:

١- ففى بعض المواضع يخبرنا بوقوع ذلك اليوم إخبارا مؤكدا (بأن) أو (بإن واللام) كقوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾.[طه:١٥] وقوله: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾.[الحجر:٨٥] وقوله: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾.[الأنعام:١٣٤] وقوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾.[المرسلات:٧].

٢- وفى موضع آخر يقسم الله تعالى على وقوعه ومجيئه كقوله

---

(١) اليوم الآخر:٧٣ .

تعالى: ﴿ اللَّهُ لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ﴾ .[النساء:٨٦].

ويقسم على تحقيق ذلك بما شاء من مخلوقاته كقوله: ﴿ والذاريات ذروا (١) فالحاملات وقرا (٢) فالجاريات يسرا (٣) فالمقسمات أمرا (٤) إنما توعدون لصادق (٥) وإن الدين لواقع ﴾ .[الذاريات:١-٦]وقوله: ﴿ والطور (١) وكتاب مسطور (٢) فى رق منشور (٣) والبيت المعمور (٤) والسقف المرفوع (٥) والبحر المسجور (٦) إن عذاب ربك لواقع (٧) ما له من دافع ﴾ .[الطور:١-٨].

٣ ـ وفى بعض المواقع يأمر رسله بالإقسام على وقوع البعث وتحقيقه، وذلك فى معرض الرد على المكذبين به المنكرين له، كقوله: ﴿ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم ﴾ .[سبأ:٣]وقوله: ﴿ ويستنبئونك أحق هو قل إى وربى إنه لحق ﴾ .[يونس:٥٣] وقوله: ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم ﴾ .[التغابن:٧].

٤ ـ وفى مواضع أخرى يذم المكذبين بالمعاد كقوله: ﴿ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين ﴾ .[يونس:٤٥] وقوله: ﴿ ألا إن الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد ﴾ [الشورى:١٨]وقوله: ﴿ بل ادارك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمون ﴾ [النمل:٦٦].

٥ ـ وأحياناً يمدح المؤمنين بالمعاد: ﴿ والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب (٧) ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب (٨) ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد ﴾ .[آل عمران:٧-٩].

٦ ـ وأحياناً يخبر أنه وعد صادق، وخبر لازم، وأجل لا شك فيه: ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود (١٠٣) وما نؤخره إلا لأجل معدود ﴾ .[هود:١٠٣، ١٠٤] وقوله: ﴿ إنما توعدون لصادق ﴾ .[الذاريات:٥].

٧ ـ وفى بعض الأحيان يخبر عن مجيئه واقترابه كقوله: ﴿ إنهم يرونه بعيدا (٦) ونراه قريبا ﴾ .[المعارج:٦، ٧]وقوله: ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ .[النحل:١].

٨ – وفى مواضع أخرى يمدح نفسه تبارك وتعالى بإعادة الخلق بعد موتهم، ويذم الآلهة التى يعبدها المشركون بعدم قدرتها على الخلق وإعادته كقوله: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾ .[الفرقان: ٣].

٩ – وبين فى مواضع أخرى أن هذا الخلق وذاك البعث وبعثكم ﴿ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ .[لقمان: ٦٤].

وقال: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ .[القيامة: ٣، ٤].

ثانياً: ومن وسطية القرآن فى إقناع الناس بالإيمان باليوم الآخر: الاستدلال على النشأة الأولى:

استدل القرآن على الخلق الثانى بالخلق الأول، فنحن نشاهد فى كل يوم حياة جديدة تخلق، أطفال يولدون، وطيور تخرج من بيضها، وحيوانات تلدها أمهاتها، وأسماك تملأ البحر والنهر، يرى الإنسان ذلك كله بأم عينيه، ثم ينكر أن يقع مثل ذلك مرة أخرى بعد أن يبيد الله هذه الحياة.

إن الذين يطلبون دليلاً على البعث بعد الموت يغفلون عن أن خلقهم على هذا النحو أعظم دليل، فالقادر على خلقه، قادر على إعادة خلقهم، وقد أكثر القرآن من الاستدلال على النشأة الآخرة بالنشأة الأولى، وتذكير العباد المستبعدين لذلك بهذه الحقيقة: ﴿ وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾ .[مريم: ٦٦–٦٧].

ويذكرنا القرآن فى موضع آخر بالخلق الأول للإنسان، فأبونا آدم خلقه الله من تراب، فالقادر على جعل التراب بشراً سوياً، لا يعجزه أن يعيده بشراً سوياً مرة أخرى بعد موته، ويذكرنا أيضاً بخلقنا نحن – ذرية آدم – فإنه خلقنا من سلالة من ماء مهين، تحول هذا الماء فأصبح نطفة، ثم صارت النطفة علقة، ثم تحولت إلى مضغة .. إلى أن نفخ فيها الروح، وجعلها إنساناً سوياً. فالقادر على هذا الخلق المشاهد المعلوم، قادر على إحياء الخلق وإحياء الموتى.[١]

---

(١) انظر: اليوم الآخر: ٧٧.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾ [الحج: ٥-٧].

وقد أمر الله عباده بالسير فى الأرض، والنظر فى كيفية بدء الخلق ليستدلوا بذلك على قدرته على الإعادة: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت: ١٩، ٢٠].

ثالثاً: ومن الأدلة التى ذكرت فى القرآن فى الاستدلال على البعث: القادر على خلق الأعظم قادر على خلق ما دونه قبيح فى نظر البشر أن يرمى بالعجز عن حمل الشيء الحقير من يستطيع حمل العظيم، ومثله إذا غلب إنسان رجلاً شديد البأس قوياً لا يقال له: إنك لا تستطيع أن تصرع هذا الهزيل الضعيف، ومن استطاع أن يبنى قصراً لا يعجزه بناء بيت صغير. ولله المثل الأعلى، فإن جملة خلقه ما هو أعظم من خلق الناس، فكيف يقال للذى خلق السموات والأرض أنت لا تستطيع أن تخلق ما دونها.(١)

قال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ ﴾ [يس: ٨١] وقال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ [غافر: ٥٧].

قال ابن تيمية رحمه الله: (فإنه من المعلوم ببداهة العقول أن خلق السموات

---

(١) المرجع السابق: ٧٨.

والأرض أعظم من خلق أمثال بنى آدم، والقدرة عليه أبلغ، وأن هذا الأيسر أولى بالإمكان والقدرة من ذلك) (١).

وقال شارح الطحاوية: (أخبر تعالى أن الذى أبدع السموات والأرض على جلالتهما،قادر أن يحيى عظاماً قد صارت رميماً، فيردها إلى حالتها الأولى) (٢).

رابعاً: قدرته تبارك وتعالى على تحويل الخلق من حال إلى حال: الذين يكذبون بالبعث يرون هلاك العباد، ثم فناءهم فى التراب، فيظنون أن إعادتهم بعد ذلك مستحيلة: ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ . [السجدة: ١٠].

والمراد بالضلال فى الأرض: تحلل أجسادهم ، ثم اختلاطها بتراب الأرض ، تقول: ضل السمن فى الطعام إذا ذاب وانماع فيه (٤).

وقد بين الحق تبارك وتعالى فى أكثر من موضع أن من تمام ألوهيته وربوبيته قدرته على تحويل الخلق من حال إلى حال، ولذا فإنه يميت ويحيى ويخلق ويفنى، ويخرج الحى من الميت، والميت من الحى قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٩٥) فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ .[الأنعام:٩٥، ٩٦].

ومن الحبة الجامدة الصماء يخرج نبتة غضة خضراء تزهر وتثمر ثم تعطى هذه النبتة الحية حبوباً جامدة ميتة، ومن الطيور الحية يخرج البيض الميت، ومن البيض الميت تخرج الطيور المتحركة المغردة التى تنطلق فى أجواء الفضاء.

إن تقليب العباد، موت فحياة، ثم موت فحياة، دليل عظيم على قدرة الله تجعل النفوس تخضع لعظمته وسلطانه: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .[البقرة:٢٨].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية : ٣ / ٢٩٩ .

(٢) اليوم الآخر : ٧٩ .

(٣) اليوم الآخر : ٧٩ .

وقد ذكرت الأدلة التى ذكرتها فى الاحتجاج على البعث من الاستدلال على النشأة الأخرى بالنشأة الأولى، ومن كون القادر على خلق الأعظم قادر على خلق ما دونه، وتحويل الخلق من حال إلى حال فى سورة يس فى موضع واحد من كتاب الله، وهذا يدل على وسطية القرآن واستقامته على الصراط المستقيم، واعتداله وقوة حجته فى إقناع الناس بإقامة الحجج والبراهين.

قال تعالى: ﴿ وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم (٧٨) قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم (٧٩) الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون (٨٠) أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم (٨١) إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (٨٢) فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون ﴾. [يس: ٧٨-٨٣].

ونزلت هذه الآيات فى أبى بن خلف أتى رسول الله ﷺ بعظم ثم قال: يامحمد من يحيى هذا وهو رميم؟ قال: « الله يحيه ثم يميته ثم يدخلك النار»، فقتله رسول الله يوم أحد وقيل: نزلت فى العاص بن وائل.(١).

ولو كان صاحب المقولة المذكورة فى أسباب النزول لبيباً عاقلاً لم يسأل هذا السؤال؛ لأن وجوده وخلقه فى هذه الحياة يجيب على السؤال، وقد وضح النص هذا المعنى الذى أجمله فى البداية فقال: ﴿ قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾. [يس: ٧٩] فاحتج بالإبداء على الإعادة، وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى، إذ كل عاقل يعلم ضرورياً أن من قدر على هذه قدر على هذه وأنه لوكان عاجزاً عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز.

ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق، وعلمه بتفاصيل خلقه أتبع ذلك بقوله: ﴿ وهو بكل خلق عليم ﴾. [يس: ٨٠] فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته، مواده وصورته، فكذلك الثانى، فإذا كان تام العلم، كامل القدرة كيف يتعذر عليه أن يحيى العظام وهى رميم؟.(٢)

---

(١) انظر: جامع البيان لتفسير الطبرى: ١٢ / ٣٠.

(١) شرح العقيدة الطحاوية: ٤٦.

٢ – ثم أكد الأمر بحجة قاهرة وبرهان ظاهر، يتضمن جواباً عن سؤال ملحد آخر يقول: العظام إذا صارت رميماً عادت طبيعتها باردة يابسة، والحياة لابد أن تكون مادتها وحاملها طبيعة حارة رطبة بما يدل على أمر البعث، ففيه الدليل والجواب معاً، فقال: ﴿ الَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ .[يس: ٨٠]فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر، الذى هو فى غاية الحرارة واليبوسة من الشجر الأخضر الممتلئ بالرطوبة والبرودة، فالذى يخرج الشيء من ضده، تنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها ، ولا يستعصى عليه، هو الذى يفعل ما أنكره الملحد ودفعه من إحياء العظام وهى رميم.(١)

٣ – ثم أكد هذا بأخذ الدلالة من الشيء الأجل الأعظم، على الأيسر الأصغر فإن كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل فهو قادر على ما دونه بكثير قال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾ .[يس: ٨١].

فأخبر أن الذى أبدع السموات والأرض على جلالتهما، وعظم شانهما، وكبر أجسامهما، وسعتهما، وعجيب خلقهما، أقدر عليه أن يحيى عظاماً قد صارت رميماً، فيردها إلى حالتها الأولى.(٢)

٤– ثم أكد تبارك وتعالى ذلك وبينه ببيان آخر، وهو أن فعله ليس بمنزلة غيره، الذى يفعل بالآلات والكلفة، والنصب والمشقة، ولا يمكنه الاستقلال بالفعل، بل لابد معه من إله ومعين بل يكفى فى خلقه لما يريد أن يخلقه ويكونه نفس إرادته وقوله للمكون: ﴿ كُن ﴾ فإذا هو كائن كما شاء وأراده ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ .[يس:٨٢] ثم ختم هذه الحجة بإخباره أن ملكوت كل شيء بيده، فيفرق فيه بفعله وقوله: ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .[يس:٨٣].

خامساً: ومن أدلة البعث التى جاءت فى القرآن الكريم ما ذكر الله فى كتابه

---

(١) اليوم الآخر القيامة الكبرى: ٨٢.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية: ٤٦٠.

من إحياء بعض الأموات فى هذه الحياة:

ومن ذلك ما أخبر الله تعالى عن قوم موسى قال تعالى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون، ثم بعثهم بعد موتهم ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥، ٥٦] وقتيل بنى إسرائيل الذى اختلفوا فى قاتله فامرهم نبيهم أن يذبحوا بقرة ويضربوا القتيل بجزء منها، فأحياه الله، وأخبر عمن قتله: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣].

وأخبر المولى عز وجل عن الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف خشية الموت، فأماتهم الله ثم أحياهم قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣] وأخبرنا المولى عز وجل عن قصة الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها، فتعجب من إحياء الله لها بعد موتها، فأماته الله مائة عام ثم بعثه حتى يوقن أن الله على كل شىء قدير قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩]

وإبراهيم عليه السلام دعا ربه أن يريه كيف يحيى الموتى، فكان هذا المشهد الذى حدثنا الحق تبارك وتعالى عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

أمره الله أن يأخذ أربعة من الطيور فيذبحها، ثم يفرق أجزاءها على عدة جبال، ثم ناداها آمراً إياها بالاجتماع، فكان كل عضو يأتى ويقع فى مكانه، فلما تكامل اجتماعها نفخ الله فيها الروح وانطلقت محلقة فى الفضاء.

وعيسى عليه السلام كان يصنع من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وكان يحيى الموتى بإذن الله، فقد قال لقومه: ﴿ ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله ﴾.[آل عمران: ٤٩].

وأصحاب الكهف ضرب الله على آذانهم فى الكهف ثلاثمائة وتسع سنين ثم قاموا من رقدتهم بعد تلك الأزمان المتطاولة: ﴿ ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين احصى لما لبثوا أمدا ﴾.[الكهف: ١٢] ﴿ وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ﴾.[الكهف: ١٩] ﴿ ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا ﴾.[الكهف: ٢٥].

وكانت آية موسى الكبرى عصا جامدة يلقيها على الأرض فتتحول بقدرة الله إلى ثعبان مبين: ﴿ فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين ﴾.[الشعراء: ٣٢]، وعندما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم ألقى موسى عصاه فإذا هى تبتلع تلك العصى والحبال على كثرتها ﴿ فألقى موسى عصاه فإذا هى تلقف ما يأفكون ﴾.[الشعراء: ٤٥].

سادساً: ومن أدلة القرآن على إثبات البعث، ضربه المثل بإحياء الأرض بالنبات، وقد ضرب الله المثل لإعادة الحياة إلى الجثث الهامدة والعظام البالية بإحيائه الأرض بعد موتها بالنبات: ﴿ فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شئ قدير ﴾.[الروم: ٥٠] وقال: ﴿ والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور ﴾.[فاطر: ٩].

سابعاً: والدليل السابع الذى ذكر فى القرآن: الاستدلال بحكمة الله حيث إن حكمته تقتضى بعث العباد للجزاء والحساب. فإن الله خلق الخلق لعبادته وأرسل الرسل ،وأنزل الكتب؛ لبيان الطريق الذى يعبدونه ويطيعونه ويتبعون أمره ويجتنبون نهيه، فمن العباد من استقام على طاعة الله، وبذل نفسه وماله فى

سبيل ذلك، ومنهم من رفض الاستقامة على طاعة الله، وطغى وبغى، أفليس بعد ذلك أن يموت الصالح والطالح، ولا بد أن يجزى الله المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، قال تعالى: ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين (٣٥) ما لكم كيف تحكمون (٣٦) أم لكم كتاب فيه تدرسون ﴾ .[القلم: ٣٥-٣٧].

إن الملاحدة الذين ظلموا أنفسهم هم الذين يظنون الكون خلق عبثاً وباطلاً لا لحكمة، وأنه لا فرق بين مصير المؤمن المصلح والكافر المفسد، ولا بين التقى والفاجر، قال تعالى: ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار (٢٧) أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ .[ص: ٢٧، ٢٨].

فهذه أساليب القرآن فى إقناع الناس بالبعث اعتمدت على خطاب العقل والانسجام مع الفطرة، والتجاوب مع القلوب، ونجد فى القرآن الكريم وصف لأهوال يوم القيامة، ويصور القرآن الكريم بعض معالم أهوال يوم القيامة، من قبض الأرض وطى السماء، ودك الأرض ،ونسف الجبال، وتفجير البحار وتسجيرها، وموران السماء وانفطارها، وتكوير الشمس، وخسوف القمر، وتناثر النجوم، ويصور لنا القرآن الكريم حال الكفار وذلتهم وهوانهم وحسرتهم وياسهم وإحباط أعمالهم، وتخاصم العابدين والمعبودين وتخاصم الأتباع وقادة الضلالة، وتخاصم الضعفاء والسادة، وتخاصم الكافر وقرينه الشيطان، ومخاصمة الكافر أعضاءه وتخاصم الروح والجسد، وتكلم القرآن عن الشفاعة وبين شروطها والمقبول منها والمرفوض، والمراد بالحساب والجزاء، وعن مشهد الحساب، وهل يسأل الكفار؟ ولماذا يسألون؟ وحدثنا القرآن الكريم عن اقتصاص المظالم بين الخلق، وكيف يكون الاقتصاص فى يوم القيامة، وبَيَّنَ المولى عز وجل فى القرآن عظم شان الدماء، وبين أن هناك يوم القيامة توضع الموازين التى توزن بها الأعمال، وأخبرنا النبى ﷺ عن الحوض ومن الذين يردون عن الحوض والذين يذادون عنه.

وصور القرآن الكريم حشر الكفار إلى النار، ومرور المؤمنين على الصراط، وخلاص المؤمنين من المنافقين، وهذا الذى ذكرنا كله من وسطية القرآن فى باب الإيمان باليوم الآخر، وحكمته البالغة فى إخباره بما ينفع الناس وترغيبهم وترهيبهم منه، حتى يستعدوا لذلك اليوم بالأعمال الصالحة ويبتعدوا عن الأعمال المحرمة.

المبحث الرابع
طعام أهل النار وشرابهم ولباسهم

تكلم القرآن الكريم عن طعام أهل النار وبين أنه الضريع والزقوم، وأن شرابهم الحميم والغسلين، والغساق قال تعالى: ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ (٦) لا يُسمن ولا يُغْنِى من جُوعٍ ﴾. [الغاشية: ٦، ٧]والضريع: شوك بأرض الحجاز يقال له: الشبرق.

وعن ابن عباس: الشبرق: (نبت ذو شوك لا طئ بالأرض، فإذا هاج سمى ضريعاً).(١)

وقال قتادة: (من أضرع الطعام وأبشعه)(٢).

وهذا الطعام أكلهم له نوع من أنواع العذاب، لا يتلذذون به ولا تنتفع به أجسادهم.

أما الزقوم فقال تعالى فيه: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِى فِى الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْىِ الْحَمِيمِ ﴾، وقد وصف الله شجرة الزقوم فى آية أخرى فقال: ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِى أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإِلَى الْجَحِيمِ ﴾. [الصافات: ٦٢- ٦٨]

وقال فى موضع آخر: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لآكِلُونَ من شجرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فمالئون منها البُطُون (٥٣) فشارِبُونَ عليْه من الحميمِ (٥٤) فشاربون شرب الهيم (٥٥) هذا نُزُلُهُم يومَ الدِّينِ ﴾. [الواقعة: ٥١ – ٥٦].

ويؤخذ من هذه الآيات أن هذه الشجرة خبيثة، جذورها تضرب فى قعر النار، وفروعها تمتد فى أرجائها، وثمر هذه الشجرة قبيح المنظر؛ لذلك شبهت

(١، ٢) التخويف من النار لابن رجب: ١١٥.

برؤوس الشياطين، وقد استقر فى النفوس قبح رؤوسهم وإن كانوا لا يرونهم، ومع خبث هذه الشجرة وخبث طلعها، إلا أن أهل النار يلقى عليهم الجوع بحيث لا يجدون مفراً من الأكل منها إلى درجة ملء البطون، فإذا امتلأت بطونهم أخذت تغلى فى أجوافهم كما يغلى دردى الزيت، فيجدون لذلك آلاماً مبرحة، فإذا بلغت الحال بهم هذا المبلغ اندفعوا إلى الحميم وهو الماء الحار الذى تناهى حره، فشربوا منه كشرب الإبل التى تشرب وتشرب ولا تروى لمرض أصابها، وعند ذلك يقطع الحميم أمعاءهم ﴿ وسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ .[محمد :١٥] هذه هى ضيافتهم فى ذلك اليوم العظيم(١) .

وإذا أكل أهل النار هذا الطعام الخبيث من الضريع والزقوم غصوا به لقبحه وخبثه وفساده : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .[المزمل:١٢ ، ١٣] .

ومن طعام أهل النار الغسلين، قال تعالى : ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ ﴾ .[الحاقة:٣٥-٣٧] وقال تعالى : ﴿ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ [ص:٥٧ ، ٨٥] .

والغسلين والغساق بمعنى واحد، وهو ما سال من جلود أهل النار من القيح والصديد، وقيل: ما يسيل من فروج النساء الزوانى ومن نتن لحوم الكفرة وجلودهم، وقال القرطبى : (هو عصارة أهل النار)(٢) .

أما شرابهم فهو الحميم قال تعالى : ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ .[محمد :١٥] وقال : ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِى الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ .[الكهف :٢٩] وقال : ﴿ وَيُسْقَى مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ .[إبراهيم:١٦ ، ١٧] وقال : ﴿ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ .[ص:٥٧]وقد ذكرت هذه الآيات أربعة أنواع من شراب أهل النار :

الأول : الحميم، وهو الماء الحار الذى تناهى حره .

---

(١) اليوم الآخر الجنة والنار لعمر الأشقر : ٨٨ .

(٢) يقظة أولى الاعتبار مما ورد فى ذكر الجنة والنار صديق حسن:٨٦ .

الثانى: الغساق، وقد مضى الحديث عنه، فإنه يذكر فى ماكول أهل النار ومشروبهم.

الثالث: الصديد، وهو ما يسيل من لحم الكافر وجلده.

الرابع: المهل وهو كعكر الزيت، فإذا قرب وجهه سقطت فروة وجهه فيه.(١)

أكلهم النار:

ومن أصحاب الذنوب من يطعمه الله جمر جهنم جزاء وفاقاً، قال تعالى: ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا ﴾. [النساء: ١٠].

وقال: ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار ﴾. [البقرة: ١٧٤].

لباس أهل النار:

أما لباس أهل النار فقد أخبرنا تبارك وتعالى أنه يفصِّل لأهل النار حلل من النار، كما قال تعالى: ﴿ فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم ﴾. [الحج: ١٩] وكان إبراهيم التيمى إذ تلا هذه الآية يقول: (سبحان من خلق من النار ثياباً).(٢)

وقال تعالى: ﴿ وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الأصفاد (٤٩) سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ﴾. [إبراهيم: ٤٩، ٥٠] والقطران: هو النحاس المذاب.

(١) اليوم الآخر الجنة والنار: ٩٠.

(٢) التخويف من النار لابن الجوزى: ١١٦.

المبحث الخامس
صور من عذاب أهل النار

أولاً : تفاوت عذاب أهل النار .

إن الآيات القرآنية قد بينت تفاوت أصحاب النار فى العذاب كقوله تعالى : ﴿ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ﴾ .[النساء :١٤٥]وقوله : ﴿ ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ .[غافر:٤٦] وقوله : ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ﴾ . [النحل :٨٨] .

وقد بين النبى ﷺ ذلك فى قوله : «إن منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه إلى حجزته ، ومنهم من تأخذه إلى ترقوته». وفى رواية : «إلى عنقه».(١) وفى صحيح البخارى : حدثنا رسول الله ﷺ عن أخف الناس عذاباً فقال : «إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل توضع فى أخمص قدميه جمرة تغلى منها دماغه». (٢)

وعن تفاوت أصحاب النار فى العذاب يقول القرطبى : (هذا الباب يدلك على أن كفر من كفر فقط ، ليس ككفر من طغى وكفر وتمرد وعصى ، ولا شك أن الكفار فى عذاب جهنم متفاوتون ، كما قد علم من الكتاب والسنة ، ولأنا نعلم على القطع والثبات أنه ليس عذاب من قتل الأنبياء والمسلمين ، وفتك فيهم ، وأفسد فى الأرض وكفر مساويا لعذاب من كفر فقط ، وأحسن للأنبياء والمسلمين ، ألا ترى أبا طالب كيف أخرجه النبى ﷺ إلى ضحضاح لنصرته إياه وذبه عنه وإحسانه إليه) .(٣)

وقال ابن رجب : (واعلم أن تفاوت أهل النار فى العذاب هو بحسب تفاوت

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب : شدة حر النار :٤ / ٢١٨٥ .

(٢) البخارى مع الفتح ،كتاب الرقاق ، باب : صفة الجنة والنار :١١ / ٤٢٤ .

(٣) التذكرة للقرطبى :٤٠٩

أعمالهم التى أدخلوا بها النار) إلى أن قال : (وكذلك تفاوت عذاب عصاة الموحدين فى النار بحسب أعمالهم، فليس عقوبة أهل الكبائر كعقوبة أصحاب الصغائر، وقد يخفف عن بعضهم بحسنات أخر له أو بما شاء الله من الأسباب، ولهذا يموت بعضهم فى النار).(١)

ثانياً : إنضاج الجلود :

إن نار الله يوم القيامة تحرق جلود أهل النار، والجلد موضع الإحساس بالم الاحتراق، ولذلك فإن الله يبدل لهم جلوداً أخرى غير تلك التى احترقت لتحترق من جديد قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ . [النساء : ٥٦] .

ثالثاً : الصهر :

من ألوان العذاب التى ذكرت فى القرآن : صب الحميم فوق رؤوسهم، والحميم هو ذلك الماء الذى انتهى حره، فلشدة حره تذوب أمعاؤهم وما حوته بطونهم : ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴾ . [الحج : ١٩] .

أخرج الترمذى من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « **إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما فى جوفه، حتى يمرق من قدميه، وهو الصهر، ثم يعود كما كان** » . وقال : حسن غريب صحيح .(٢)

رابعاً : اللفح :

ومن إهانة الله لأهل النار : أنهم يحشرون فى يوم القيامة على وجوههم عمياً وصماً وبكماً . قال تعالى : ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً ﴾ . [الإسراء : ٩٧] ويلقون فى النار على وجوههم : ﴿ ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون ﴾ . [النمل : ٩٠] .

---

(١) التخويف من النار : ١٤٢ - ١٤٣ .

(٢) جامع الأصول لابن الاثير : ١٠ / ٥٤٠ والترمذى كتاب صفة جهنم، باب : ما جاء فى شراب أهل النار رقم : ٢٥٨، ٥ / ٦٠٧ .

ثم إن النار تلفح وجوههم وتغشاها أبداً لا يجدون حائلاً يحول بينهم وبينها: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَن ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.[الأنبياء:٣٩] ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾.[المؤمنون:١٠٤] ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم:٥٠] ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[الزمر:٢٤].

وانظر إلى هذا المنظر الذى تقشعر لهوله الأبدان: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾.[الأحزاب:٦٦].

خامساً :السحب:

ومن أنواع العذاب الأليم :سحب الكفار فى النار على وجوههم: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾.[القمر:٤٧، ٤٨] ويزيد من آلامهم حال سحبهم فى النار انهم مقيدون بالقيود والأغلال والسلاسل: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾.[غافر:٧٠-٧٢].

سادساً: تسويد الوجوه:

يسود الله فى الدار الآخرة وجوه أهل النار: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.[آل عمران:١٠٦]وهو سواد شديد، كأنما حلت ظلمة الليل فى وجوههم: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.[يونس:٢٧].

سابعاً: إحاطة النار بالكفار:

قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.[البقرة:٨١] ولا يكون المرء كذلك إلا إذا كان كافراً مشركاً، يقول صديق حسن خان[١]:(المراد بالسيئة هنا الجنس، ولابد ان يكون سببها محيطا به من جميع جوانبه، فلا تبقى له حسنة، وسدت عليه مسالك النجاة، والخلود

فى النار هو للكفار والمشركين، فيتعين تفسير السيئة والخطيئة فى هذه الآية بالكفر والشرك، وبهذا يبطل تشبث المعتزلة والخوارج، لما ثبت فى السنة متواتراً من خروج عصاة الموحدين من النار).(٢)

ولما كانت الخطايا والذنوب تحيط بالكافر إحاطة السوار بالمعصم، فإن الجزاء من جنس العمل ، ولذا فإن النار تحيط بالكفار من كل جهة، كما قال تعالى :﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ .[الأعراف : ٤١]

والمهاد : ما يكون من تحتهم، والغواش : جمع غاشية وهى التى تغشاهم من فوقهم، والمراد أن النيران تحيط بهم من فوقهم ومن تحتهم، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ .[العنكبوت : ٥٥]وقال فى موضع آخر :﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ .[الزمر : ١٦]وقد صرح بالإحاطة فى موضع آخر : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ .[التوبة : ٤٩] وقد فسر بعض السلف المهاد بالفراش، والغواش باللحف .(٣)

وتأتى الإحاطة من ناحية أخرى، وذلك أن للنار سُوراً يحيط بالكفار، فلا يستطيع الكفار مغادرتها أو الخروج منها، كما قال تعالى :﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ .[الكهف : ٢٩].

وسرادق النار سورها وحائطها الذى يحيط بها(٤).

ثامنا : اطلاع النار على الأفئدة :

قال تعالى : ﴿ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ

---

(١) أحد علماء الهند المجددين والسالكين سبيل السلف الصالح، محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسينى البخارى القنوجى أبو الطيب، ولد ونشأ فى قنوج بالهند، وتزوج بملكة بهوبال، وأخذ عليه مداراته للإنجليز وتولى بعض الأمور لهم توفى سنة ١٣٠٧. انظر الأعلام: ٦/ ١٦٧.

(٢) يقظه اولى الاعتبار: ٦٧.

(٣) تفسير ابن كثير: ٣/ ١٦٨.

(٤) اليوم الآخر الجنة والنار: ١٠٢.

(٦) التى تطلع على الأفئدة ﴾.[الهمزة: ٤-٧] قال محمد بن كعب(١) القرظى: (تأكله النار إلى فؤاده، فإذا بلغت فؤاده أنشئ خلقه)، وعن ثابت البنانى(٢) أنه قرأ هذه الآية، ثم قال: (تحرقهم النار إلى الأفئدة وهم أحياء لقد بلغ منهم العذاب، ثم يبكى).(٣)

تاسعاً: قيود أهل النار وأغلالهم وسلاسلهم ومطارقهم:

أعد الله لأهل النار سلاسلاً وأغلالاً وقيوداً ومطارقاً: ﴿ إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيرا ﴾.[الإنسان: ٤] ﴿ إن لدينا أنكالاً وجحيما (١٢) وطعاما ذا غصة وعذابا أليما ﴾.[المزمل: ١٢، ١٣] والأغلال توضع فى الأعناق، ﴿ وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ﴾.[سبأ: ٣٣] ﴿ إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون ﴾. [غافر: ٧١].

والأنكال: القيود؛ سميت أنكالا لأنه يعذبهم ويُنكل بهم بها ﴿ لدينا أنكالا... ﴾[المزمل: ١٢] والسلاسل نوع آخر من ألوان العذاب التى يقيد بها المجرمون كما يقيد المجرمون فى الدنيا، وانظر إلى هذه الصورة التى أخبرنا بها الكتاب الكريم: ﴿ خذوه فغلوه (٣٠) ثم الجحيم صلوه (٣١) ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه ﴾.[الحاقة: ٣٠-٣٢] وأعد الله لأهل النار مقامع من حديد وهى المطارق التى تهوى على المجرمين وهم يحاولون الخروج من النار، فإذا بها تطوح بهم مرة أخرى إلى سواء الجحيم ﴿ ولهم مقامع من حديد (١١) كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ﴾. [الحج: ٢١، ٢٢].

عاشراً: قرن معبوداتهم وشياطينهم فى النار:

---

(١) هو محمد بن كعب بن سليم القرظى المدنى من حلفاء الأوس كان أبوه من سبى بنى قريظة إمام علامة صادق توفى ١٠٨هـ. سير أعلام النبلاء: ٥/ ٦٥ شذرات الذهب: ١/ ١٣٦، وتهذيب التهذيب: ٩/ ٤٢٠.

(٢) هو الإمام الزاهد التابعى الفاضل، ثابت بن أسلم البنانى أبو محمد أنس بن مالك وهو أثبت الناس فى أنس وهو من الثقات الأثبات توفى سنة ١٢٧هـ، وقيل: ١٢٣هـ، انظر: تهذيب التهذيب: ٢/ ٢.

(٣) التخويف من النار، لابن رجب: ١٤٦.

قال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .[الأنبياء:٩٨-٩٩] يقول ابن رجب: (لما عبد الكفار الآلهة من دون الله، واعتقدوا أنها تشفع لهم عند الله، وتقربهم إليه، عوقبوا بأن جُعِلَتْ معهم فى النار إهانة لهم وإذلالاً، ونكاية لهم وإبلاغاً فى حسرتهم وندامتهم، فإن الإنسان إذا قرن فى العذاب بمن كان سبب عذابه كان أشد فى ألمه وحسرته).(١)

قال القرطبى: (وإنما يجمعان فى جهنم، لأنهما قد عبدا من دون الله، لا تكون النار عذاباً لهما، لأنهما جماد، وإنما يفعل ذلك بهما زيادة فى تبكيت الكافرين وحسرتهم، وهكذا قال بعض أهل العلم).(٢) ولهذا المعنى يقرن الكفار بشياطينهم ليكون أشد لعذابهم ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٧) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (٣٨) وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ .[الزخرف:٣٦-٣٩].

الحادى عشر: حسرتهم وندمهم ودعاؤهم:

عندما يرى الكفار النار يندمون أشد الندم، ولات ساعة مندم ﴿ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .[يونس:٥٤] وعندما يطلع الكافر على صحيفة أعماله، فيرى كفره وشركه الذى يؤهله للخلود فى النار، فإنه يدعو بالثبور والهلاك، ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾ .[الانشقاق:١٠-١٢].

ويتكرر دعاؤهم بالويل والهلاك عندما يلقون فى النار، ويصلون حرها ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣) لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ .[الفرقان:١٣، ١٤] وهناك يعلو صراخهم ويشتد عويلهم، ويدعون ربهم آملين أن يخرجهم من النار ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ

---

(١) التخويف من النار لابن رجب:١٠٥.

(٢) التذكرة للقرطبى:٣٩٢.

الَّذى كُنَّا نعْمَلُ ﴾ .[فاطر:٣٧] وهم يعترفون فى ذلك الوقت بضلالهم وكفرهم وقله عقولهم: ﴿ وَقَالُوا لوْ كُنَّا نسْمَعُ أوْ نعْقلُ مَا كُنَّا فى أصْحَاب السَّعير ﴾ .[الملك:١٠] ولكن طلبهم يرفض بشدة، ويجابون بما يستحق أن تجاب به الأنعام﴿ قالُوا ربَّنا غلبتْ علَيْنا شقْوَتُنا وكُنَّا قَوْماً ضالّين (١٠٦) ربَّنَا أخْرجْنَا منْها فإنْ عُدْنَا فإنَّا ظالمُونَ (١٠٧) قال اخْسَئُوا فيها ولا تُكَلّمُونَ ﴾ . [المؤمنون:١٠٦-١٠٨].

لقد حق عليهم القول، وصاروا إلى المصير الذى لا ينفع معه دعاء ولا يقبل فيه رجاء ﴿ ولوْ ترَىٰ إذ الْمُجْرمُونَ ناكسُوا رُءُوسهمْ عند ربّهمْ ربَّنا أبْصرْنا وسَمعْنا فارْجعْنا نعْمل صالحا إنَّا موقنُونَ (١٢) ولوْ شئْنا لآتيْنا كُلَّ نفْس هُداها ولكن حقَّ القوْلُ منى لأملأنَّ جهنَّم منَ الْجنَّة والنَّاس أجْمعين (١٣) فذُوقُوا بمَا نسيتُمْ لقاءَ يوْمكُمْ هذا إنَّا نسيناكُمْ وذُوقُوا عذابَ الْخُلْد بمَا كُنتُمْ تعْملُونَ ﴾ . [السجدة:١٢-١٤]

ويتوجه أهل النار بعد ذلك النداء إلى خزنة النار، يطلبون منهم أن يشفعوا لهم كى يخفف الله عنهم شيئاً مما يعانونه:﴿ وقال الَّذينَ فى النَّار لخزنة جهنَّم ادْعُوا ربَّكُم يخفّفْ عنَّا يوْماً من الْعذاب (٤٩) قالُوا أوَ لَمْ تكُ تأتيكُمْ رُسُلُكُم بالْبيّنات قَالُوا بلىٰ قالُوا فادْعوا وَما دُعاءُ الْكافرين إلاَّ فى ضلال ﴾ .[غافر:٤٩، ٥٠] وعند ذلك يسألون الشفاعة كى يهلكهم ربهم: ﴿ ونادَوْا يا مَالكُ ليَقْض علَيْنا ربُّك قال إنَّكُم ماكثُونَ ﴾ .[الزخرف:٧].

لقد خسر هؤلاء الظالمون أنفسهم وأهليهم عندما استحبوا الكفر على الإيمان، واستمع إلى عويلهم وهم يرددون حال العذاب ﴿ يوْم تُقلَّبُ وُجُوهُهُمْ فى النَّار يقُولُونَ يا ليْتنا أطعْنا اللَّهَ وأطعْنا الرَّسُولاْ (٦٦) وقالُوا ربَّنَا إنَّا أطعْنا سادَتنا وكُبراءنا فأضلُّونا السَّبيلاْ (٦٧) ربَّنا آتهمْ ضعْفَيْن منَ الْعذاب والْعنْهُمْ لعْناً كَبيراً ﴾ .[الاحزاب:٦٦ ٦٨] ﴿ فأمَّا الَّذين شقُوا ففى النَّار لهُمْ فيهَا زفيرٌ وشهيقٌ (١٠٦) خالدين فيها ما دامت السمواتُ والأرْضُ إلاَّ ما شاء ربُّك ﴾ .[هود:١٠٦، ١٠٧].

قال الليث [١] رحمه لله: (الزفير أن يملأ الرجل صدره حال كونه فى الغم الشديد من النفس ويخرجه، والشهيق أن يخرج ذلك النفس). [٢]

وما ذكرت من صور العذاب فى القرآن الكريم يدل على أن العذاب حسى ومعنوى وفيه من الوضوح والبيان ما يجعل الإنسان صاحب الفطرة السوية من أن يستجيب لأوامر الله ويجتنب نواهيه، وهذه الصور الحية لا توجد فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى غيرها من الكتب المقدسة، وهذا يدل على وسطية القرآن وحكمته فى عرض اليوم الآخر بمشاهده الحية فى الترهيب بدون إفراط أو تفريط أو زيادة أو نقصان. وبإذن الله سنتكلم فى الصفحات القادمة عن جانب الترغيب والله الهادى إلى سواء السبيل.

(١) الليث بن سعد هو شيخ الديار المصرية الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى ويكنى أبا الحارث ولد سنة ٩٤هـ بقرقشند، كان غنياً سخياً يزيد دخله عن عشرين ألف دينار سنوياً ومع ذلك لم تجب الزكاة فى ماله لأنه من شدة سخائه ما كان يبقى عنده نصاب الزكاة قال الشافعى فيه: الليث أفقه من مالك، إلا أنه ضيعه أصحابه. توفى عام ١٧٥هـ. انظر ترجمته فى تاريخ بغداد: ١٣/ ٣، تذكرة الحفاظ: ١/ ٣٠٧.

(٢) يقظة أولى الاعتبار، لصديق حسن خان: ٧٢.

obeikandl.com

المبحث السادس
صفة الجنة

أولاً: الجنة لا مثل لها.

إن نعيم الجنة شيء أعده الله لعباده المتقين نابع من كرم الله وجوده وفضله، ووصف لنا المولى عز وجل شيئاً من نعيمها إلا أنه ما أخفاه الله عنا من نعيم شيء عظيم لا تدركه العقول، ولا تصل إلى كنهه الأفكار، قال تعالى: ﴿ فلا تعلم ﴾ .[السجدة:١٧].

وقد جاء فى الصحيح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله: أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. فاقرؤا إن شئتم ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾ [السجدة: ١٧]»(١).

وقد بين الله سبحانه وتعالى سبب هذا الجزاء بما وفقهم إليه من أعمال عظيمة من قيام ليل، وإنفاق فى سبيله قال تعالى: ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون (١٦) فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ .[السجدة: ١٦ ، ١٧].

ثانيا: أبواب الجنة:

وصف الله سبحانه وتعالى فى كتابه الجنة بان لها أبواباً يدخل منها المؤمنون كما تدخل منها الملائكة قال تعالى: ﴿ جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ﴾ [ص:٥٠] ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب (٢٣) سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ [الرعد:٢٣ ، ٢٤].

وأخبر الحق تبارك وتعالى أن هذه الأبواب تفتح عندما يصل المؤمنون إليها، وتستقبلهم الملائكة محيية بسلامة الوصول: ﴿ حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال

---

(١) البخارى مع الفتح، كتاب بدء الخلق، باب صفة الجنة:٦/٣٦٦ رقم:٣٢٤٤.

لهُمْ خزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ .[الزمر: ٧٣] .

وعدد أبواب الجنة: ثمانية، وأحد هذه الأبواب يسمى: الريان: وهو خاص بالصائمين كما فى حديث البخارى عن النبى ﷺ قال: «**فى الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون**».(١) وقد بين العلماء أن هناك باب للمكثرين من الصلاة، وبابا للمتصدقين وبابا للمجاهدين، فمن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة وهكذا.(٢)

ثالثا: درجات الجنة:

إن أهل الجنة متفاوتون فيما بينهم على حسب أعمالهم وتوفيق الله لهم وكذلك درجاتهم فى الآخرة، بعضها فوق بعض قال تعالى: ﴿ ومَن يأته مُؤْمنًا قد عمل الصَّالحَات فَأُولَئك لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴾ .[طه: ٧٥]

وأولياء الله المؤمنون المتقون فى تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم قال تعالى: ﴿ من كان يُرِيدُ الْعاجلة عجَّلْنا لَهُ فيها ما نَشاءُ لمن نُرِيدُ ثُمَّ جعلْنا له جهنم يصلاها مذْمُوماً مَّدْحُوراً (١٨) ومَنْ أَرادَ الآخرة وَسعَىٰ لَهَا سعْيها وَهُوَ مُؤْمنٌ فأُولَئك كان سعْيُهُم مَشْكُوراً (١٩) كُلاًّ نُمدُّ هَؤُلاء وهَؤُلاء منْ عطَاء ربِّكَ وما كانَ عطاءُ ربِّك محْظُوراً (٢٠) انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنا بعْضَهُمْ علىٰ بعْضٍ وَلَلآخرةُ أَكْبرُ درجَاتٍ وأَكْبرُ تفْضيلاً ﴾ .[الإسراء: ١٨-٢١]

فبين سبحانه أن أهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثر ما يتفاضل الناس فى الدنيا وأن درجات الآخرة أكبر من درجات الدنيا. قال تعالى: ﴿ لا يستوى منكُم مَّن أنفق من قبْل الْفَتْح وقَاتَلَ أُولَئك أَعْظَمُ درجَةً مِّنَ الَّذين أَنفَقُوا منْ بعْدُ وقَاتلُوا وكُلاًّ وعد اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ .[الحديد: ١٠] .

وقال تعالى: ﴿ لا يستوى الْقَاعدُونَ منَ الْمُؤْمنين غَيْرُ أُولى الضَّرر والْمُجاهدُون فى سبيل الله بأَمْوالهم وأَنفُسهم فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهدينَ بأَمْوالهمْ وأَنفُسهمْ علىٰ الْقَاعدين درجَةً

---

(١) البخارى مع الفتح، كتاب بدء الخلق باب صفة أبواب الجنة: (٦/ ٣٦٦) رقم ٣٢٤٤.

(٢) انظر فتح البارى: ٦/ ٣٧٨.

وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) درجات مِّنْهُ ومَغْفِرَةً ورَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ .[النساء:٩٥، ٩٦].

وقد روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ : «من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، جاهد فى سبيل الله، أو جلس فى أرضه التى ولد فيها»، فقالوا : يا رسول الله، أفلا نبشر الناس؟! قال : «إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، اراه قال :«وفوقه عرش الرحمن منه تفجر أنهار الجنة». (١)

رابعاً : أنهار الجنة :

ذكر القرآن الكريم أنهار الجنة فى آيات عديدة قال تعالى: ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ﴾.

قال تعالى: ﴿ مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ﴾ .[محمد :١٥].

ومن الأنهار التى ذكرها النبى ﷺ فى أحاديثه فى الجنة ما رواه البخارى عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : «رفعت لى السدرة، فاذا أربعة أنهار نهران ظاهران، ونهران باطنان، فأما الظاهران فالنيل والفرات، وأما الباطنان: فنهران فى الجنة». (٢)

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة». (٣) ومن أنهار الجنة: الكوثر الذى أعطاها الله لرسوله ﷺ، ففى صحيح البخارى عن أنس بن مالك عن النبى

---

(١) البخارى مع الفتح، كتاب الجهاد، باب درجات المجاهدين:٦/ ١٤.

(٢) صحيح البخارى مع الفتح، كتاب الأشربة، باب شرب اللبن :١٠/ ٧٣.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب ما فى الدنيا من أنهار الجنة: ٤/ ٢١٨٣.

ﷺ قال: «بينما أنا أسير فى الجنة، إذ أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذى أعطاك ربك، فإذا طيبة أوطينه مسك أذفر، شك الراوى (هدبة).[١] وقد فسر ابن عباس الكوثر بالخير الكثير الذى أعطاه الله لرسوله ﷺ وبين سعيد بن جبير أن النهر الذى فى الجنة من الخير الذى أعطاه الله إياه.[٢]

خامساً: عيون الجنة:

فى الجنة عيون كثيرة مختلفة الطعوم والمشارب قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥]: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات: ٤١] وقال فى وصف الجنتين اللتين أعدهما لمن خاف ربه ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن: ٥٠] وقال فى وصف الجنتين اللتين دونهما ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦].

وفى الجنة عينان يشرب المقربون ماءهما صرفاً غير مخلوط، ويشرب منهما الأبرار الشراب مخلوطاً ممزوجابغيره، العين الأولى: عين الكافور قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٥، ٦] فقد أخبر أن الأبرار يشربون- شرابهم ممزوجاً من عين الكافور- بينما عباد الله يشربونها خالصاً.

العين الثانية: عين التسنيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٢ - ٢٨] ومن عيون الجنة عين تسمى السلسبيل، قال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾. [الإنسان: ١٧، ١٨].

---

(١) صحيح البخارى البخارى مع الفتح، كتاب الرقاق، باب فى الحوض: ١١/ ٤٧٢.

(٢) صحيح البخارى مع الفتح، كتاب الرقاق، باب فى الحوض: ١١/ ٤٧٥.

سادساً: قصور الجنة وخيامها:

يبنى الله لأهل الجنة مساكن طيبة حسنة كما قال تعالى: ﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾.[التوبة: ٧٢]وقال تعالى: ﴿ وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾.[سبا: ٣٧]وقال فى جزاء عباد الرحمن: ﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾.[الفرقان: ٧٥] وقال تعالى واصفاً هذه الغرفات: ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴾.[الزمر: ٢٠]

وقد أخبرنا المولى عز وجل أن فى الجنة خياماً قال تعالى: ﴿ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾.[الرحمن: ٧٢] وهذه الخيام عجيبة، فهى من لؤلؤ بل هى من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلاً وفى بعض الروايات عرضها ستون ميلاً ففى صحيح البخارى عن النبى ﷺ قال: « الخيمة درة مجوفة طولها فى السماء ثلاثون ميلاً، فى كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون ».(١)

سابعاً: نور الجنة:

قال ابن كثير فى تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢) تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾.[مريم: ٦٢، ٦٣] أى فى وقت البكرات ووقت العشيات، لا أن هناك ليلاً ونهاراً، ولكنهم فى أوقات تتعاقب يعرفون مضيها بأضواء وأنوار)(٢). ويقول ابن تيمية فى هذا الموضوع: (والجنة ليس فيها شمس ولا قمر، ولا ليل، ولا نهار، لكن تعرف البكرة والعشية بنور يظهر من قبل العرش).(٣)

ثامناً: وصف بعض شجر الجنة:

سدرة المنتهى: وهذه الشجرة ذكرها المولى عز وجل فى كتابه العزيز وأخبر سبحانه أن رسولنا ﷺ رأى جبريل على صورته التى خلقه الله عليها عندها، وأن

---

(١) صحيح البخارى مع الفتح. كتاب بدء الخلق، باب صفة الجنة: ٦ / ٣٦٦.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤ / ٤٧١.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٤ / ٣١٢.

هذه الشجرة عند جنة المأوى التى غشيها ما غشيها مما لا يعلمه إلا الله عندما رآها الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿ولَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾. [النجم: ١٤-١٧].

شجرة طوبى: وهذه شجرة عظيمة كبيرة تصنع ثياب أهل الجنة عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها». (١)

الشجرة التى يسير الراكب فى ظلها مائة عام: هذه شجرة هائلة لا يقدر قدرها إلا الذى خلقها، وقد بين الرسول ﷺ عظم هذه الشجرة بان اخبر أن الراكب لفرس من الخيل التى تعد للسباق يحتاج إلى مائة عام حتى يقطعها إذا سار بأقصى ما يمكنه. ففى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة، واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾. [الواقعة: ٣٠]». (٢).

وهذا يدل عن خلق بديع وقدرة الصانع البديع سبحانه وتعالى.

تاسعاً: نعيم أهل الجنة:

لقد مدح القرآن الكريم نعيم الآخرة وذم الدنيا الفانية ورغب فى ما عند الله على متاع الدنيا القريب العاجل فى مواضع كثيرة، كقوله تعالى: ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلاً من عند الله وما عند الله خير للأبرار﴾. [آل عمران: ١٩٨] وقوله: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾. [طه: ١٣١]

وقوله: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾. [آل عمران: ١٤، ١٥] والآيات فى هذا الباب كثيرة.

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى: ٤/٦٣٩، رقم الحديث: ١٩٨٥.

(٢) البخارى مع الفتح، كتاب بدء الخلق. باب ما جاء فى صفة الجنة: ٦/٣٦٨

عاشراً: طعام أهل الجنة وشرابهم:

ذكر الله سبحانه وتعالى أن فى الجنة ما تشتهيه الأنفس من المآكل والمشارب: ﴿ وفاكهة مِمَّا يتخيَّرُونَ (٢٠) ولحْم طيْرٍ مِمَّا يشْتَهُونَ ﴾ .[الواقعة: ٢٠، ٢١] ﴿ وفيها ما تشتهيه الأنفسُ وتلذُّ الأعْينُ ﴾ .[الزخرف: ٧١] وقد أباح الله لهم أن يتناولوا من خيراتها وألوان طعامها وشرابها ما يشتهون: ﴿ كُلُوا واشْربُوا هنيئا بما أسلفتُمْ فى الأيام الْخالية ﴾ .[الحاقة: ٢٤]

الحادى عشر: خمر أهل الجنة:

من الشراب الذى يتفضل الله به على أهل الجنة: الخمر، وخمر الجنة خالى من العيوب والآفات التى تتصف بها خمر الدنيا، فخمر الدنيا تذهب العقول، وتصدع الرؤوس، وتوجع البطون، وتمرض الأبدان، وتجلب الأسقام، وقد تكون معيبة فى صنعها أو لونها أو غير ذلك، أما خمر الجنة فإنها خالية من ذلك كله، وجميلة صافية رائعة.(١) قال تعالى: ﴿ يُطَافُ عليْهم بكأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (٤٥) بيْضاء لذَّةٍ لِّلشَّارِبين (٤٦) لا فيها غَوْلٌ ولا هُمْ عنْها يُنزفُونَ ﴾ .[الصافات: ٤٥-٤٧] فقد وصف الله جمال لونها(بيضاء) ثم بين أنها تلذ شاربها لا يمل من شربها ﴿ ولا هُمْ عنْها يُنزفُون ﴾ .[الصافات: ٤٧] وقال فى موضع آخر يصف خمر الجنة: ﴿ يطُوفُ عليْهم ولْدانٌ مُّخلَّدُونَ (١٧) بأكْوابٍ وأباريقَ وكأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨) لا يُصدَّعُون عنها ولا يُنزفُون ﴾ .[الواقعة: ١٧-١٩].

قال ابن كثير فى تفسير هذه الآيات: (لا تصدع رؤوسهم، ولا تنزف عقولهم، بل هى ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة، وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال: فى الخمر أربع خصال: السكر، والصداع، والقىء والبول، فذكر الله خمر الجنة، ونزهها عن هذه الخصال).(٢)

وقال تعالى فى موضع آخر: ﴿ يُسْقَوْنَ من رَّحيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتامُهُ مسْكٌ ﴾ .[المطففين: ٢٥، ٢٦].والرحيق: الخمر، ووصف هذا الخمر بوصفين: الأول:

---

(١) انظر: اليوم الآخر الجنة والنار عمر الأشقر: ٢٣٠ . (٢) تفسير ابن كثير: ٦/ ٥١٤.

أنه مختوم أى موضوع عليه خاتم، الأمر الثانى: أنهم إذا شربوه وجدوه فى ختام شرابهم له رائحة المسك.(١)

الثانى عشر: طعام أهل الجنة وشرابهم لا دنس معه:

الجنة دار خالصة من الأذى، وأهلها مطهرون من أوساخ أهل الدنيا، ففى البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها، ولا يمتخطون، ولا يتغوطون».(٢)

وليس هذا خاص بأول زمرة تدخل الجنة، وإنما هو عام فى كل ما يدخل الجنة، ففى رواية عند مسلم عن ابى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة تدخل الجنة من أمتى على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد نجم فى السماء إضاءة ثم هم بعد ذلك منازل، لا يتغوطون، ولا يتبولون، ولا يمتخطون، ولا يبزقون».(٣)

فالذى يتفاوت فيه أهل الجنة مما نص عليه فى الحديث قوة نور كل منهم، اما خلوصهم من الأذى فإنهم يشتركون فيه جميعاً، فهم لا يتغوطون ولا يتبولون، ولا يتفلون، ولا يبزقون، ولا يمتخطون. وفضلات الطعام والشراب تتحول إلى رشح كرشح المسك يفيض من اجسادهم، كما يتحول بعض منه إلى جشاء ولكنه جشاء تنبعث منه روائح طيبة عبقة عطرة، ففى صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون، ولا يتبولون ولا يتغوطون، ولا يمتخطون». قالوا: فما بال الطعام؟ قال «جشاء كجشاء المسك».(٤)

---

(١) المرجع السابق: ٢٣٠.

(٢) رواه البخارى: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء فى صفة الجنة: ٦/ ٣٦٧.

(٣) رواه مسلم، كتاب الجنة، باب اول زمرة تدخل الجنة: ٤/ ٢١٨٨، رقم الحديث: ٢٨٣٤.

(٤) المرجع السابق: ٤/ ٢١٨٠، رقم الحديث: ٢٨٣٥.

الثالث عشر: آنية طعام أهل الجنة وشرابهم.

آنية طعام أهل الجنة التى يأكلون ويشربون بها من الذهب والفضة قال تعالى: ﴿ يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب ﴾ .[الزخرف: ٧١] **أى وأكواب من ذهب، وقال:** ﴿ ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قوارير (١٥) قواريرا من فضة قدروها تقديرا ﴾ .[الإنسان: ١٥، ١٦] **أى اجتمع فيها صفاء القوارير وبياض الفضة.**

ومن الآنية التى يشربون بها: **الأكواب والأباريق والكؤوس:** ﴿ يطوف عليهم ولدان مخلدون (١٧) بأكواب وأباريق وكأس من معين ﴾ .[الواقعة: ١٧، ١٨] **والكوب ما لا أذن له ولا عروة ولا خرطوم، والأباريق: ذوات الآذان والعرى، والكاس: القدح الذى فيه الشراب.**

الرابع عشر: لباس أهل الجنة وحليهم ومباخرهم:

أهل الجنة يلبسون فيها الفاخر من اللباس، ويتزينون فيها بأنواع الحلى من الذهب والفضة واللؤلؤ، فمن لباسهم الحرير، ومن حلالهم أساور الذهب والفضة واللؤلؤ قال تعالى: ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ﴾ .[فاطر: ٣٣] ﴿ وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا ﴾ .[الإنسان: ٢١] **وملابسهم ذات ألوان، ومن ألوان الثياب التى يلبسون الخضر من السندس والاستبرق:** ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا ﴾ . [الكهف: ٣١].

ولباسهم أرقى من أى ثياب صنعها الإنسان، فقد روى البخارى فى صحيحه عن البراء بن عازب (١) رضي الله عنه قال: «أتى الرسولُ ﷺ بثوب من حرير، فجعلوا يعجبون من حسنه ولينه، فقال رسول الله ﷺ: «لمناديل سعد بن

---

(١) هو البراء بن عازب بن الحارث الأنصارى الأوسى، أبو عمارة وقيل: أبو عمرو هو وابوه صحابيان، شهد أحد وما بعدها واستصغر يوم بدر وشهد مع على رضي الله عنه الجمل وصفين وحرب الخوارج مات سنة اثنتين وسبعين من الهجرة: انظر الإصابة: ١/١٤٦، ١٤٧.

معاذ [1] في الجنة أفضل من هذا».(٢)

وقد أخبر الرسول ﷺ أن لأهل الجنة أمشاطاً من الذهب والفضة، وانهم يتبخرون بعود الطيب، مع أن روح المسك تفوح من ابدانهم الزاكية، ففى صحيح البخارى عن أبى هريرة عن الرسول ﷺ فى صفة الذين يدخلون الجنة: «آنيتهم الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب، ووقود مجامرهم الألوة عود الطيب ورشحهم المسك».(٣)

وثياب أهل الجنة وحليهم لا تبلى ولا تفنى، ففى صحيح مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «**من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه**».(٤)

الخامس عشر: فرش أهل الجنة:

فرش أهل الجنة عظيمة القدر، بطائنها من الإستبرق، فما بالك بظاهرها؟ وهناك ترى النمارق مصفوفة على نحو يسر الخاطر ويبهج النفس والزرابى مبثوثة على شكل منسق متكامل قال تعالى: ﴿ فيها سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (١٣) وأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (١٤) ونَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ .[الغاشية: ١٣-١٦] ﴿ متكئين على فرش بطائنها من إستبرق ﴾ .[الرحمن: ٥٤]. ﴿ متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان ﴾ .[الرحمن: ٧٦] والمراد بالنمارق: المخادّ والوسائد والمساند، والزرابى: البسط، والعبقرى: البسط الجياد، والرفرف، رياض الجنة، وقيل: نوع من الثياب، والأرائك: السرر.

---

(١) هو أبو عمر سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأوسى الانصارى سيد الأوس رمى يوم الخندق بسهم فعاش بعد ذلك شهر حتى حكم فى بنى قريظة حكمه المشهور الذى وافق فيه حكم الله من فوق سبع سموات وبعد ذلك مات بسبب انتفاض جرحه وذلك سنة خمس للهجرة: انظر الإصابة: ٢ / ٣٥.

(٢) صحيح البخارى مع الفتح، كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء فى صفة الجنة: ٦ / ٣٦٧ رقم الحديث: ٣٢٤٨.

(٣) صحيح البخارى، كتاب بدء الخلق، باب: فى صفة الجنة، رقم ٣٢٤٦.

(٤) صحيح مسلم ،كتاب الجنة، باب: فى دوام نعيم الجنة: ٤ / ٢١٨١، رقم الحديث: ٢٨٣٦.

السادس عشر : خدم أهل الجنة :

يخدم أهل الجنة ولدان ينشئهم الله لخدمتهم، يكونون فى غاية الجمال والكمال، كما قال تعالى : ﴿ يطوف عليهم ولدانٌ مُخلَّدون (١٧) بأكواب وأباريق وكأس من معين ﴾ .[الواقعة :١٧ ، ١٨] .

قال ابن كثير رحمه الله : (يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان أهل الجنة(مخلدون)أى على حالة مخلدون عليها، لا يتغيرون عنها لا تزيد أعمارهم عن تلك السن، ومن فسرهم بأنهم مخرصون، فى آذانهم الأقرطة، فإنما عبر عن المعنى، لأن الصغير هو الذى يليق له ذلك دون الكبير وقوله تعالى : ﴿ إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ﴾ .[الإنسان :١٩] أى إذا رأيتهم فى انتشارهم فى قضاء حوائج السادة وكثرتهم وصباحة وجوههم وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم، حسبتهم لؤلؤاً منثوراً، ولا يكون فى التشبيه أحسن من هذا، ولا فى المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن).(١)

السابع عشر : اجتماع أهل الجنة وأحاديثهم :

أهل الجنة يزور بعضهم بعضاً، ويجتمعون فى مجالس طيبة يتحدثون ويذكرون ما كان منهم فى الدنيا، وما مَنَّ الله به عليهم من دخول الجنان، قال تعالى فى وصف اجتماع أهل الجنة : ﴿ ونزعْنا ما فى صُدُورهم مِّن غلٍ إخْوانا على سُرُرٍ متقابلين ﴾ .[الحجر :٤٧] .

وحدثنا القرآن عن أصناف الأحاديث التى يتكلمون بها فى مجتمعاتهم : ﴿ وأقْبل بعْضُهُمْ على بعْضٍ يتساءلُون (٢٥) قالُوا إنَّا كُنَّا قبْلُ فى أهْلنا مُشْفقين (٢٦) فمنَّ اللهُ علينا ووقانا عذاب السَّموم (٢٧) إنَّا كُنَّا من قبْلُ ندْعُوهُ إنَّهُ هُو البرُّ الرَّحيمُ ﴾ .[الطور :٢٥ - ٢٨] ومن ذلك تذكرهم أهل الشر الذين كانوا يشككون أهل الإيمان ويدعونهم إلى الكفران : ﴿ فأقْبل بعْضُهُمْ على بعْضٍ يتساءلُون (٥٠) قال قائلٌ مِّنْهُمْ إنِّى كان لى قرينٌ (٥١) يقولُ أئنك لمن المُصدقين (٥٢) أئذا متْنا وكُنَّا تُرابا وعظاما أئنا لمدينُون (٥٣)

---

(١) تفسير ابن كثير : ٧ / ١٨٤ .

قال هل أنتم مطلعون (٥٤) فاطلع فرآه فى سواء الجحيم (٥٥) قال تالله إن كدت لترديين (٥٦) ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين (٥٧) أفما نحن بميتين (٥٨) إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين (٥٩) إنّ هذا لهو الفوز العظيم (٦٠) لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ . [الصافات: ٥٠-٦١].

الثامن عشر: نساء أهل الجنة:

زوجة المؤمن فى الدنيا زوجته فى الآخرة إذا كانت مؤمنة قال تعالى: ﴿ جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ﴾ . [الرعد: ٢٣] **وهم فى الجنات منعمون مع الأزواج، يتكئون فى ظلال الجنة مسرورين فرحين:** ﴿ هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون ﴾ . [يس: ٥٦] ﴿ ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون ﴾ . [الزخرف: ٧٠].

التاسع عشر: الحور العين:

قال تعالى: ﴿ كذلك وزوجناهم بحور عين ﴾ . [الدخان: ٥٤] **والحور: جمع حوراء، وهى التى يكون بياض عينها شديد البياض، وسواده شديد السواد، والعين: جمع عيناء، والعيناء: هى واسعة العين. وقد وصف الله فى القرآن الحور العين بأنهن كواعب أتراب قال تعالى:** ﴿ إنّ للمتقين مفازا (٣١) حدائق وأعنابا (٣٢) وكواعب أترابا ﴾ . [النبأ: ٣١-٣٣] **والكاعب: المرأة الجميلة التى برز ثديها، والأتراب: المتقاربات فى السن، والحور العين من خلق الله فى الجنة، أنشأهن الله إنشاء فجعلهن أبكاراً، عرباً أتراباً:** ﴿ إنّا أنشأناهنّ إنشاء (٣٥) فجعلناهنّ أبكارا (٣٦) عربا أترابا ﴾ . [الواقعة: ٣٥-٣٧] **وكونهن أبكاراً يقضى أنه لم ينكحهن قبلهم أحد، كما قال تعالى:** ﴿ لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جانّ ﴾ . [الرحمن: ٥٦].

وقد حدثنا القرآن عن جمال نساء الجنة فقال: ﴿ وحور عين (٢٢) كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾ . [الواقعة: ٢٢، ٢٣] **والمراد بالمكنون: المخفى المصان، الذى لم يغير صفاء لونه ضوء الشمس، ولا عبث الأيدى، وشبههن فى موضع آخر بالياقوت والمرجان:** ﴿ فيهنّ قاصرات الطرف لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جانّ (٥٦) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٥٧) كأنهنّ الياقوت والمرجان ﴾ . [الرحمن: ٥٦-٥٨].

والياقوت والمرجان: حجران كريمان فيهما جمال، ولهما منظر حسن بديع، وقد وصف الحور بأنهن قاصرات الطرف، وهن اللواتى قصرن بصرهن على أزواجهن، فلم تطمح أنظارهن لغير أزواجهن وقد شهد الله لحور الجنة بالحسن والجمال، وحسبك أن شهد الله بهذا ليكون قد بلغ غاية الحسن والجمال ﴿ فيهن خيرات حسان (٧٠) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٧١) حور مقصورات فى الخيام ﴾ .[الرحمن: ٧٠-٧٢]. ونساء الجنة لسن كنساء الدنيا، فإنهن مطهرات من الحيض والنفاس، والبصاق والمخاط والبول والغائط، وهذا مقتضى قوله تعالى: ﴿ ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ﴾ .[البقرة: ٢٥].

وقد حدثنا الرسول ﷺ عن جمال نساء أهل الجنة، ففى الحديث الذى يرويه البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون ولا يمتخطون، ولا يتغوطون، وآنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوه، ورشحهم من وراء اللحم من الحسن». (١)

وانظر إلى هذا الجمال الذى يحدث عنه الرسول ﷺ هل تجد له نظيراً مما تعرف؟ «ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأته ريحا، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها». (٢)

العشرون: أفضل ما يعطاه أهل الجنة: (النظر إلى وجهه الكريم رضوان الله):

قال الطحاوى: (والرؤية حق لأهل الجنة، بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا: ﴿ وجوه يومئذ ناضرة (٢٢) إلى ربها ناظرة ﴾ .[القيامة: ٢٢، ٢٣].

وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه، وكل ما جاء فى ذلك الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال ومعناه على أنه أراد أن لا ندخل فى ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم فى دينه إلا من سلم لله

---

(١) رواه البخارى، كتاب الخلق، صفة الجنة، فتح البارى: ٦/ ٣٦٧.

(٢) البخارى مع الفتح، كتاب الجهاد، باب: وزوجناهم بحور عين: ٦/ ١٩.

عز وجل ولرسوله ﷺ ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه(١).

وقد صرح الحق تبارك وتعالى برؤية العباد لربهم فى جنات النعيم: ﴿ وجوه يومئذ ناضرة (٢٢) إلى ربها ناظرة ﴾.[القيامة: ٢٢].

والكفار والمشركون يحرمون من هذا النعيم العظيم، والتكرمة الباهرة: ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾.[المطففين: ١٥].

قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون. ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى»، زاد فى رواية: «ثم تلا هذه الآية: ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾.[يونس: ٢٦]وأما عن رضوان الله الذى يعطى لأهل الجنة فعن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول يا أهل الجنة. فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير كله فى يديك، فيقول هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يارب وقد أعطيتنا ما لم نعط أحدا من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يارب وأى شىء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا».(٢)

الحادى والعشرون: آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

يمر المؤمنون فى الموقف العظيم بأهوال عظام، ثم يمرون على الصراط فيشاهدون هولاً ورعباً، ثم يدخلهم الله جنات النعيم بعد أن أذهب عنهم الحزن، فيرون ما أعد الله لهم فيها من خيرات عظام، فترتفع ألسنتهم تسبح ربهم وتقدسه، فقد أذهب عنهم الحزن، وصدقهم وعده وأورثهم الجنة: ﴿ وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور (٣٤) الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا

---

(١) الطحاوية: ٢٠٣.

(٢) مشكاة المصابيح للبغوى: ٣/ ٨٨.

يمسنا فيها نصبٌ ولا يمسنا فيها لُغوبٌ ﴾ .[فاطر: ٣٤، ٣٥].

وآخر دعواهم فى الجنات النعيم الحمد لله رب العالمين: ﴿ دعواهمْ فيها سُبْحانكَ اللَّهمَّ وتحيَّتُهمْ فيها سلامٌ وآخرُ دعْواهمْ أن الْحمْدُ للَّه ربِّ الْعالمين ﴾ .[يونس: ١٠].

وإلى هنا أرجو أن أكون قد بينت قضية الإيمان باليوم الآخر من خلال القرآن الكريم وهدى سيد المرسلين ﷺ ، وقد لمست من خلال بحثى ملامح الوسطية من حكمة قرآنية واستقامة ربانية واعتدال وعدل فى الأحكام ووضع طالب الحقيقة على صراط مستقيم.